الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي دراسة مقارنة

د/ حمزة عبد الكريم عبد الجليل نجادات مشرف تربوي –وزارة التربية والتعليم الأردنية

الـمـلـخص

هدفت الدراسة الحالية إلى بيان التعريف بابن سحنون والقابسي، وتوضيح آراءهما التربوية ومقارنتها. ولتحقيق هدف الدراسة الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك باستقراء آراء ابن سحنون والقابسي التربوية, ومن ثم القيام بتحليها

واشتملت الدراسة على مبحثين؛ المبحث الأول: التعريف بابن سحنون والقابسي، والمبحث الثاني: الآراء التربوية لابن سحنون والقابسي.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، ومن أهمها: تتجلى الأهداف التربوية عند ابن سحنون والقابسي بتأكيد كل منها إلى تحقيق الوازع الديني والامتثال بشرع الله عز وجل سواء أكان بالجانب التعبدي أو الجانب الخلقي, إلا أنه يظهر تأكيد ابن سحنون على قضايا أكثر اتساعًا وإطاراً, وذلك عندما أشار إلى أهمية تعليم القرآن بكونه المرجعية الأساسية في حياة الفرد المسلم, وكذلك الحال بالنسبة للآداب والمهارات الحياتية, باعتبارها من أساسيات الحياة. في حين أن القابسي قد اقتصر في ذلك على الجانبين الديني والخلقي, وهذا تصور نحو هدفية الإسلام في تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي، ابن سحنون، القابسي، دراسة مقارنة.

Educational Thought of Ibn Sahnun and al-Kabasi: comparative study

This study aims to illustrate and compare the perspectives of Ibn Sahnun and al-Kabasi about educational system. To this end, the researcher adopted the inductive-analytical approach to analyze their educational perspectives. The study included two chapters: one to give an overview of the life of Ibn Sahnun and al-Kabasi and the other to analyze their perspectives. The findings revealed Ibn Sahnun and al-Kabasi confirmed that compliance with the Islamic rules is an essential condition over all aspects. As for Ibn Sahnun pointed out to the important of teaching Quran as a basic reference and guide of Muslim daily-life skills and behaviors. On the other hand, al-Kabasi focused on the creation and religion as two-main aspects in achieving happiness in the worldly life and hereafter.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, وأفضل الصلاة والتسليم على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا وقائدنا محمد صلى الله عليه وسلم, وعلى آله وصحبه أجمعين, ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيعد الفكر التربوي محصلة الجهود المقدمة من قبل المؤسسات والمفكرين في المجال التربوي, ويزخر التاريخ الإسلامي بمسيرة كبيرة من الأعمال التي تصب في تشكيل نظام تربوي إسلامي, وهذا مما يميز الفكر الإسلامي عن غيره. حيث يكون مجموعة المسلمات والأفكار التي تؤلف النظرية التربوية الإسلامية, والتي تكونت من إسهامات مفكرين إسلاميين لخدمة التربية والتعليم على مر العصور الإسلامية إلى اليوم.

ولا بد من الإشارة إلى أهمية دراسة ملامح ومعالم الفكر التربوي في المؤسسات وعند العلماء على مر التاريخ, وذلك باعتبار هذه الأمور مرجعية في التأسيس التربوي, وذلك بالمحافظة على هذه الأصالة, وفي المقابل فهي ذات أهمية بالغة من حيث الاستفادة في تكوين نظرية تربوية إسلامية, ومعرفة ما يناسب الوقت الحاضر, والعمل على تطوير ما لا يناسبه.

ويعد التتبع التاريخي لآراء العلماء التربوية, مسألة مهمة في تحقيق ذلك, حيث إن لم يكن هناك ما يسمى بالتربية الإسلامية أو الفكر التربوي, إلا أنه المضمون والمفهوم من هذه الكتابات يبرز ذلك, وقد برز للفكر التربوي الإسلامي, العديد من المؤسسين والرواد, فمنهم القابسي وابن سحنون والزرنوجي وغيرهم.

ويعد الإمام ابن سحنون والقابسي من أوائل هؤلاء, في الميدان التربوي, وقد جاء البحث لدراسة الفكر التربوي عن هذين العالمين, بحيث يظهر أوجه التشابه والاختلاف.

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

نظراً لما يوليه الفكر التربوي الإسلامي من أهمية في استقراء آراء العلماء التربوية, إلا أنه في المقابل يوجد غياب لتفعيل هذه الآراء على ارض الواقع, ويضاف إلى ذلك غياب لعمليات المقارنة بين أكثر من عالم في الرأي التربوي, وخصوصاً القدماء كأمثال ابن سحنون والقابسي, وغياب للتصورات التربوية لهم, في مقابل انتشار لكثير من النظريات والآراء الغريبة, وعليه فقد جاء اختيار هذا الموضوع.

وستحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما ملامح الفكر التربوي بين ابن سحنون والقابسي؟

ويتفرع عنه السؤالين الفرعيين الآتيين:

١- ما التعريف بابن سحنون والقابسي؟

٢- ما الآراء التربوية لابن سحنون والقابسي؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الآتي:

١- التعريف بابن سحنون والقابسي.

٢- بيان الآراء التربوية لابن سحنون والقابسي ومقارنتها.

أهمية الدراسة:

تتأتى أهمية الدراسة من أهمية موضوعها والأهداف التي تسعى لتحقيقها, ومن المتوقع أن تفيد في الجوانب الآتية:

١- الباحثين في المجال التربوي؛ بحيث تقدم لهم آراء تربوية للعلماء في العصور الأولى في الإسلام, وبالتالي لا تكون مرجعاً سابقاً لهم.

٢- المربين والمعلمين؛ بإيفادهم ببعض الآراء التربوية حول تربية وتعليم الأبناء.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك باستقراء آراء ابن سحنون والقابسي التربوية, ومن ثم القيام بتحليها.

مصطلحات الدراسة:

تضمنت الدراسة الحالية عدد من المصطلحات التي يرى الباحث تعريفها وفقاً للسياق التي وردت فيه:

١- الفكر التربوي: وهي منظومة المسلمات والآراء التربوية التي جاءت حصيلة استقراء جهود المؤسسات والعلماء.

٢- الآراء التربوية: هو التوجه في مسألة ما في ضوء ميدان التربية,ويعطي تميزاً عن غيره.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحث, ومراجعته للأدب النظري المتعلق بموضوع الدراسة, لم يعثر على أي دراسة أخذت الموضوع في صورته الحالية, إلا أنه في المقابل وجد بعض الدراسات التي ناقشت جزيئات منه, وهي على النحو الآتي:

١- دراسة مراد (٢٠٠٤) الفكر التربوي عند ابن سحنون[١].

هدفت الدراسة إلى بيان الفكر التربوي عند ابن سحنون, وذلك من خلال تحليل لكتابه آداب المعلمين. وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي, لتحقيق ذلك.

وأسفرت الدراسة عن مجموعة من الاستنتاجات, ومن أهمها: أن رسالته عكست ما كان يشغل مجتمعه من قضايا متعلقة بالعلم والتعليم, ومن خلال الأسئلة التي طرحت عليه, والإجابات التي وضعها, يمكننا القول بأنه كان فقهياً محافظاً, متقيداً بالشرع وحده, يجيز ما يجيزه النقل إن وجد, ويجتهد أحياناً في حدود الأصول الشرعية (المذهب المالكي) ليستنبط الأحكام عندما لا يوجد النص أو ليس هناك تقليد به.

٢- دراسة وصوص والجوارنة (٢٠١٤) من ملامح الفكر التربوي عند الإمام القابسي[٢].

([١]) مراد, بركات, الفكر التربوي عند ابن سحنون, المجلة العربية للتربية, العدد ٣, ٢٠٠٤م.

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم ملامح الفكر التربوي عند الإمام القابسي, من خلال الوقوف على آرائه حول العلم والمتعلم, والمناهج الدراسية, وكذلك طرق التدريس. واتبع الباحثان المنهج التاريخي الذي يقوم على الاطلاع ومعرفة المصادر ذات الصلة بالموضوع والعمل على تحليلها.

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن المفكرين التربويين المسلمين من بينهم القابسي ابتكروا في التربية آراء جديدة لم يأخذوها عن غيرهم, بل استمدت من الإسلام نتيجة للفهم لما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله علي وسلم, كما أنه لم يكن هناك منهج واضح وشامل للقابسي في رسالته حول المعلمين والمتعلمين, إلا أنه استند في فكره على الدين الإسلامي, والعلاقة الشرعية الواضحة بين المعلم والمتعلم, وعالجها بفكر الفقيه المتفهم, وركز أيضاً على الجوانب العملية للتربية والتعليم.

التعقيب على الدراسات السابقة :

- أوجه الاتفاق:

١- تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة بالتعريف بابن سحنون والقابسي.

٢- كما وتشترك في الحديث عن الآراء التربوية لكلا العالمين.

- أوجه الاختلاف:

تختلف الدراسة الحالية عن غيرها من الدراسات السابقة بتقديم دراسة مقارنة حول آراء ابن سحنون والقابسي.

خطة الدراسة :

المبحث الأول: التعريف بابن سحنون والقابسي.

المطلب الأول: التعريف بابن سحنون.

المطلب الثاني: التعريف بالقابسي.

المبحث الثاني: الآراء التربوية لابن سحنون والقابسي.

المطلب الأول: الأهداف التربوية عند ابن سحنون والقابسي.

المطلب الثاني: المناهج التربوية عند ابن سحنون والقابسي.

المطلب الثالث: طرائق التدريس عند ابن سحنون والقابسي.

المطلب الرابع: مسائل تربوية متفرقة عند ابن سحنون والقابسي.

([٢]) وصوص, ديمة والجوارنة, المعتصم بالله, من ملامح الفكر التربوي عند الإمام القابسي, الجامعة الأردنية, مجلة دراسات (العلوم التربوية),العدد٢, المجلد ٤١, ٢٠١٤م.

المبحث الأول

التعريف بابن سحنون والقابسي

يعنى هذا المبحث بالتعريف بالإمامين ابن سحنون والقابسي, وذلك من حيث بيان اسم كل منهما, ونسبه وحياته ومسيرته العلمية والعملية, وغيرها من الأمور.

المطلب الأول: التعريف بابن سحنون

هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي, قدم جده سعيد بن حبيب مع جند أهل حمص, في القرن الثاني للهجرة, ضمن حملة من الحملات المتعاقبة التي أرسلتها دمشق تعزيزاً للفتح الإسلامي في بلاد المغرب(٣).

ولد ابن سحنون في مدينة القيروان سنة اثنتين ومائتين على ما يذكر مؤرخوه, وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين, ودفن بباب نافع بالقيروان(٤).

وقد ساعدت العديد من العوامل في تشكيل شخصية ابن سحنون العلمية؛ فقد اعتنى به والده كثيراً, وخصوصاً في المجال التعليمي, فكان يقول:" ما عنيت في ابني محمد, إلا أني أخاف أن يكون عمره قصيراً"(٥).

فيتضح من هنا تلمس الأب علامات الذكاء والفطنة عند ولده, مما كان له دافعاً في الاعتناء به, حيث كان يتأدب في حضرة والده, "وكان يناظر أباه, وكان يسمع بعض كتب أبيه في حياته, يأخذها الناس عنه قبل خروج أبيه, فإذا خرج أبوه, قعد مع الناس يسمع معهم من أبيه"(٦).

وقد اتصف ابن سحنون بالعديد من الصفات الحسنة, كالورع والتواضع وكان والزهد, إضافة إلى الفقه والدين, وقد عاش متقشفاً, وكان ابن سحنون يطبق نصيحة والده في تعامله مع الناس, وكانت الناس تستشيره في أمورها, وتوسطه في خلافها مع المسؤولين, لما عرف عنه من اللباقة في تدبير الأمور, وسعة الحيلة. وتمثل ابن سحنون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يحرصون على الجهاد, والمرابطة على ثغور المسلمين. فكان يخرج بين فترة وأخرى من القيروان إلى قصر الطوب للمرابطة مع الجند, ويشارك في القتال ضد الروم, الذين كانوا يغيرون ليلاً, على افريقية من جهة البحر(٧).

---

(٣) أبو بكر, عبد الله بن أبي عبد الله المالكي, رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية, القاهرة, مكتبة النهضة المصرية, ١٩٥١م, ص٣١٨.

(٤) لبن الدباغ, عبد الرحمن, معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان, القاهرة, مكتبة الخانجي, ١٩٦٨م, ص٦٨.

(٥) أبو بكر: رياض النفوس, مرجع سابق, ص١٧١.

(٦) ابن عياض, عياض بن موسى, تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض, تونس, المطبعة الرسمية, ١٩٦٨, ص١٧١.

(٧) حجازي, عبد الرحمن, المذهب التربوي عند ابن سحنون, بيروت, مؤسسة الرسالة, ط١, ١٩٨٦م, ص٢٣-٢٦.

وقد اشتهر ابن سحنون بنشر المذهب المالكي, حيث كان يتصدى للمتهجمين على الإسلام, وواجههم برد الأباطيل بالمنطق والحجة.

ويضاف إلى ذلك كثرة مؤلفاته حيث كانت متعددة العلوم, حيث وضع مئتي كتاب[٨], ومن هذه المؤلفات:

١- كتاب الجامع, وهو أكبر تصانيفه جمع فيه فنوناً شتى في السير والأمثال وأدب القضاء والفرائض والتاريخ.

٢- الإمامة, الذي ألفه وكتبه بالذهب وأهداه إلى الخليفة.

٣- مسائل الجهاد.

٤- تفسير الموطأ.

٥- الرد على أهل البدع.

٦- كتاب التاريخ.

٧- طبقات العلماء.

٨- كتاب البشرية.

٩- كتاب الإيمان والرد على أهل الشرك.

١٠- الحجة على القدرية.

١١- الحجة على النصارى.

١٢- الرد على الفكرية.

١٣- ما يجب على المتناظرين من حسن الأدب.

١٤- كتاب الورع.

١٥- شرح أربعة كتب مدونة سحنون.

١٦- رسالة في معنى السنة.

١٧- آداب القاضي. ١٨- أحكام القرآن.

المطلب الثاني: التعريف بالقابسي.

يعد القابسي علماً بارزاً من أعلام التربية الإسلامية, ومن كبار أئمة الفقه المالكي, ومن أشهر من يعود لهم الفضل في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب العربي.

أما عن نسبه فهو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي, المعروف بابن القابسي, أمام في الحديث ومتونه, وأسانيده وجميع ما يتعلق به, فقيه, شيخ المالكية, صالح تقي ورع, وكان ضريراً[٩], وكانت ولادته في يوم الاثنين لست مضين من رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة, وتوفي سنة ٤٠٣هجرية[١٠].

([٨]) ابن الدباغ: معالم الإيمان, مرجع سابق, ٧٩٠.

([٩]) الذهبي, شمس الدين, العبر في خبر من عبر, تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد, الكويت, ١٩٦٠م, ج٣, ص٨٥.

وفقد" كان عالماً عاملاً, جمع العلم والعبادة, والورع والزهد, والإشفاق والخشية, ورقة القلب ونزاهة النفس, ومحبة الفقراء, حافظاً لكتاب الله ومعانيه وأحكامه, عالماً بعلوم السنة والفقه

واختلاف الناس, سلم له أهل عصره ونظراؤه في العلم والدين والفضل, كثير الصيام والتهجد بالليل والناس نيام مع كثرة التلاوة وكانت فيه خصال لم تكمل إلا فيه, منها القناعة, والرفق بأهل الذنوب, وكتمان المصائب والشدائد, والصبر على الأذى, وخدمة الإخوان, والتواضع لهم, والانفاق عليهم, وصلتهم بما عنده[١١].

وكان القابسي صاحب مدرسة انتمى إليها كثير من طلاب العلم ورواد المعرفة, وهي مدرسة الفقه والحديث, فنجده عندما استوعب هذه العلوم والمعارف الدينية.

ووثق من نفسه, وأضحى قادراً على العطاء, تصدى لعلمية التدريس ينهل منه طلاب المعرفة في ذلك الوقت, واشتهر وبرز منهم كثيرون, وعليه تفقه خلق كثير من أبناء أفريقيا, ومن الأندلسيين النازحين إلى القيروان في القرن الرابع وأشهر تلاميذه, أبو عمران الفاسي, وأبو القاسم اللبيدي, وأبو بكر عتيق السوسى وغيرهم[١٢]، وللقابسي العديد من الأعمال الفكرية, ومن أهمها:

١- رسالة في الاعتقادات.

٢- رسالة في الذكر والدعاء.

٣- الرسالة الناصرة.

٤- رسالة أهمية الحصون.

٥- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

٦- ملخص الموطأ.

٧- كتاب المهد في الفقه والأحكام.

٨- كتاب المناسك. ٩- كتاب المنبه للفطن والمبعد من شبه التأويل.

---

(١٠) ابن خلكان, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق: إحسان عباس, بيروت, دار صادر, ١٩٧٠م, ج٣, ص٣٢٠.

(١١) ابن الدباغ: معالم الإيمان, مرجع سابق, ص١٣٦.

(١٢) التوزري, إبراهيم, تاريخ التربية بتونس, تونس, الشركة التونسية للتوزيع, د.ت, ص١٨٣.

المبحث الثاني

الآراء التربوية لابن سحنون والقابسي

يعنى هذا المبحث ببيان الآراء التربوية لكل من ابن سحنون والقابسي, والمتمثلة بأهم القضايا التربوية كالأهداف والمناهج وطرائق التدريس, ومن ثم توضيح لأبرز القضايا التربوية الفرعية, وذلك بمعرفة مواقف التشابه والاختلاف, والمطالب الآتية سوف تقوم ببيان ذلك.

المطلب الأول: الأهداف التربوية عند ابن سحنون والقابسي.

تعتبر الأهداف التربوية من أهم القضايا وأخطرها في ميدان التربية والتعليم, حيث تعد مرتكزاً يستند إليه العمل التربوي في كافة مجالاته, وإجراءاته المنهجية واللامنهجية, فهي ينطلق منها ويعاد إليها.

وقد اخذ موضوع الأهداف حيزاً كبيراً في البحث التربوي تبعاً للأسباب سابقة الذكر, واعتبارها المرجعية لذلك, وقد عرفت الأهداف التربوية من قبل العديد من التربويين, ومن أبرزها القول بأنها " النتيجة النهائية لكل فلسفة, لان كل فلسفة تسعى لتحقيق أهداف تحمل معانيها ومقاصدها وتبلور أفكارها"(١٣).

في حين عرفها الكيلاني بأنها " التغييرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد وفي ممارسات, واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية, فهي تصف الصفات العقلية والنفسية والشخصية التي يتمتع بها الفرد المثقف تثقيفاً عالياً, وهي تصف, أيضاً الاتجاهات والخصائص الاجتماعية التي يتصف بها المجتمع الراقي المتحضر, وهذه الأهداف هي الثمرات النهائية للعملية التربوية"(١٤).

وبيّن سلطان أهمية الأهداف في الميدان التربوي, بقوله أنها " أمر غاية في الأهمية بالنسبة للعمل التربوي, وتماسكه وانسجامه, وسيره نحو بناء الأجيال بناءً فكرياً وروحياً ونفسياً وخلقياً, وهذا الوضوح أكثر أهمية بالنسبة لجميع العاملين في العمل التربوي, ولواضع السياسة, ولواضع الفلسفة التربوية التعليمية"(١٥).

وقد لاقت الأهداف اهتماماً كبيراً من العلماء القدامى؛ وخصوصاً ابن سحنون والقابسي بكونهما صاحبي رؤى تربوية.

فتتجلى الأهداف التربوية عند ابن سحنون بتعليم القرآن, وفهمه ثم ترجمة ما جاء به إلى سلوك من قبل المتعلمين الذين سيصبحون معلمين فيما بعد لنشر القرآن الكريم, ونشر كلمة الله بين بني البشر(١٦), حيث جاءت هذه الأهداف ضمن كتابه (آداب المعلمين).

---

(١٣) جنزرلي, رياض, أهداف التربية الإسلامية وغايتها, جدة, الدار السعودية للنشر والتوزيع,٢٠٠٠م, ص١١.

(١٤) الكيلاني, ماجد, أهداف التربية الإسلامية, الإمارات, دار القلم, ٢٠٠٥م, ص١٣.

(١٥) سلطان, محمود, الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام, القاهرة, دار المعارف, ١٩٨٣م, ص٣١.

(١٦) أبو هلال, أحمد, قراءة الأفكار التربوية عند ابن سحنون, جلة أفكار, ١٩٧٩م, ص٦٨.

كما ويضاف إلى ذلك مصلحة المتعلم أولاً وآخراً, والتنشئة الدينية المبكرة, وحفظ الولد, وتعليم القرآن, وما يخدم هذا الغرض من قراءة وكتابة, وحفظ واستظهار, واكتساب آداب وممارسات ينبغي غرسها في نفوس الناشئة, منذ الصغر, كالعبادات والتخلق بالحميد من العادات والأخلاق[١٧].

واجتهد أحد الباحثين في تقسيم الأهداف التربوية عند ابن سحنون إلى[١٨]:

١- الإعداد للحياة الآخرة, عن طريق تعليم الصبيان كيفية أداء الشكر لله الخالق, والابتعاد عن نواهيه.

٢- تمكين الصبيان من معرفة طائفة من العلوم والمهارات التي تساعدهم على النجاح في الحياة, وتنفع المجتمع الذي يعيشون فيه.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الأهداف التربوية تتجلى عند ابن سحنون, تعليم القرآن الكريم, والتنشئة الدينية, واكتساب منظومة الآداب والأخلاق الحميدة والمهارات التي تساعد في سير الحياة بشكل يحقق منهج الله عز وجل.

في حيث أن الأهداف التربوية عند القابسي تدور حول الإيمان والإسلام والإحسان والاستقامة والصلاح وغيرها, كما يرى لها جانبين أولهما: الجانب الديني, والثاني: الجانب الأخلاقي , ويشدد على الاستقامة والصلاح, هو الإيفاء بجميع هذه الخصال ابتداءً بالإيمان مروراً بالإسلام والإحسان والاستقامة والعمل بها والنهج عليها[١٩].

ويتضح من هنا انقسام الأهداف التربوية عند القابسي إلى قسمين:

الأول: الهدف الديني, ويؤكد ذلك بقوله" وقد مضي أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن ويأتونهم بالمعلمين, ويجتهدون فيذلك, وهذا مما لا يمتنع منه والد لولده, وهو يجد إليه سبيلاً إلا مداركة شح نفسه, فذلك لا حجة له, ولا يدع هذا والد واحد تهاوناً واستخفافاً لتركه, إلا والد جاف لا رغبة له في الخير, ان حكم الولد في الدين حكم والده ما دام طفلاً, أفيدع ابنه الصغير, لا يعلمه الدين, وتعليمه القرآن, ويؤكد له معرفة الدين[٢٠].

الثاني: الهدف الخلقي ويؤكد ذلك بقوله:" فالذي يعلم ولده فيحسن تعليمه ويؤديه فيحسن تأديبه, فقد عمل في ولده عملاً حسناً يرجى له من تضعيف الأجر فيه[٢١], قال تعالى:" مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً"(البقرة:٢٤٥).

---

(١٧) مراد: الفكر التربوي عند ابن سحنون, مرجع سابق, ص٤٢.

(١٨) حجازي: المذهب التربوي عند ابن سحنون, مرجع سابق, ص٥٥.

(١٩) شمس الدين, عبد الأمير, الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي, بيروت, دار اقرأ, ط١, ١٩٨٥م, ص٩٦.

(٢٠) القابسي, علي بن محمد, الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين, تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني, القاهرة, ١٩٧٥م, ص٢٩١-٢٩٢.

(٢١) المرجع السابق, ص٢٨٩.

ومن خلال ما تم استعراض من الأهداف التربوية عند ابن سحنون والقابسي يتضح للباحث تأكيد كل منها إلى تحقيق الوازع الديني والامتثال بشرع الله عز وجل سواء أكان بالجانب التعبدي أو الجانب الخلقي, إلا أنه يظهر تأكيد ابن سحنون على قضايا أكثر اتساعًا وإطاراً, وذلك عندما أشار إلى أهمية تعليم القرآن بكونه المرجعية الأساسية في حياة الفرد المسلم, وكذلك الحال بالنسبة للآداب والمهارات الحياتية, باعتبارها من أساسيات الحياة. في حين أن القابسي قد اقتصر في ذلك على الجانبين الديني والخلقي, وهذا تصور نحو هدفية الإسلام في تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: المناهج التربوية عند ابن سحنون والقابسي.

يقصد الباحث هنا بالمنهاج المقررات التي يدرسها المتعلم؛ أي المحتوى التعليمي, مع الإشارة إلى أهمية المفهوم الحديث للمنهاج الذي هو " مجموعة متنوعة من الخبرات التي يتم تشكليها, والتي يتم إتاحة الفرص للمتعلم المرور بها, وهذا يتضمن عمليات التدريس التي يظهر نتائجه فيما يتعلمه التلاميذ, وقد يكون هذا من خلال المدرسة أو مؤسسات اجتماعية أخرى تتحمل مسؤولية التربية, ويشترط في هذه الخبرات أن تكون منطقية وقابلة للتطبيق والتأثير"[٢٢], والمنهاج في المفهوم الإسلامي عبارة عن "الحقائق الخالدة المستمدة من الكتاب والسنة والخبرة البشرية المكتسبة التي تنظمها المدرسة, وتشرف عليها بقصد إيصال كل متعلم إلى كماله الإنساني, من خلال إقراره بالعبودية لله سبحانه وتعالى؛ وذلك وفق أساليب تعليمية تعلمية, وأساليب تقويم ملائمه"[٢٣].

وقد اعتبر الباحث هنا المناهج عبارة عن المقررات بكون أن ابن سحنون والقابسي, قد تحدثا عنها من هذا المنطلق, وقد جاءت في سياق ذا أهمية بالغة بكون المنهاج الموصل الحقيقي للمعارف والخبرات, وقد قسم ابن سحنون المنهاج إلى قسمين[٢٤]:

١- القسم الإلزامي: ويشمل القرآن الكريم, وضرورة تعلمه, قال تعالى:" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا "(فاطر:١٢).

وكذلك الحال للأحاديث النبوية, وأكد ذلك بقوله " وينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن الكريم, وذلك لازم له, والشكل والهجاء, والحظ الحسن, والقراءة الحسنة, والتوفيق والترتيل يلزمه ذلك"[٢٥].

ويشمل أيضاً تعليم الصبيان " الوضوء والصلاة لأن ذلك من أركان دينهم, وعدد ركوعها وسجودها والقراءة فيها. والتكبير وكيفية الجلوس والإحرام والسلام, وما يلزمهم في الصلاة والتشهد والقنوت في الصبح فانه من سنة الصلاة ومن واجب حقها..., وكذلك سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر, وصلاة العيدين والاستسقاء

([٢٢]) اللقاني, أحمد, المناهج بين النظرية والتطبيق, القاهرة, عالم الكتب, ط٢, ١٩٨٢م, ص٣٠.

([٢٣]) عبدالله, عبد الرحمن, المنهاج الدراسي – رؤية إسلامية, عمان, دار البشير, ط٢, ٢٠٠٠م, ص٣١.

([٢٤]) حجازين: المذهب التربوي عند ابن سحنون, مرجع سابق, ص٥٢-٥٧.

([٢٥]) ابن سحنون, محمد, كتاب آداب المعلمين, تحقيق: حسن عبد الوهاب, تونس, دار الكتب الشرقية, ١٩٧٢م, ص١٠٢.

والخسوف, حتى يعلمهم دينهم الذي تعبدهم الله به, وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم..., ثم يعلمهم الصلاة على الجنائز والدعاء فانه من دينهم"[٢٦].

٢- القسم الاختياري: ويتناول الحساب وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه, والشعر والغريب والعربية والحظ, وجميع النحو, هو في ذلك متطوع[٢٧].

كما وتدور مناهج التعليم عند القابسي حول الدين الإسلامي, وتتصل بالأخلاق اتصالاً متيناً, وقد قسمها إلى قسمين:

١- العلوم الإجبارية: وتتمثل في أصول القراءة والكتابة والقرآن الكريم, الدعاء, الفقه, الأخلاق, وبعض النحو.

٢- العلوم الاختيارية: وتتمثل في الحساب, جميع النحو, الشعر, والتاريخ, بما فيه أيام العرب والمسلمين, فقال:" وينبغي للمعلم أن يعلمهم (الصبيان) الحساب وجميع النحو, ولا بأس أن يعلمهم الشعر, مما لا يكون في فحش, ومن كلام العرب وأخبارها"[٢٨].

ويتضح من خلال ما سبق اتفاق نسبي بين مناهج ابن سحنون والقابسي, وذلك من خلال تقسيم المواد إلى إجبارية بمعنى اللزوم, واختيارية, كما يظهر من التصنيف اتفاق في موضوعات المناهج, مما يؤكد ضرورة تعلم الفرد المسلم لبعض الأمور لحاجته لها في الحياة.

المطلب الثالث: طرائق التدريس عند ابن سحنون والقابسي

تعتبر طريقة التدريس ذات أهمية بالغة, وذلك بكون الأسلوب الموصل للخبرات والحقائق وغيرها, فهي " مجموعة الإجراءات التدريسية الخاصة التي يتبعها المعلم في تنفيذ طريقة التدريس بصورة تميزه عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون الطريقة التدريسية ذاتها, ومن ثم يرتبط بصورة أساسية بالخصائص الشخصية للمعلم, هذا بالإضافة إلى ارتباط أسلوب التدريس بطبيعة المادة الدراسية, ومستوى الطلبة"[٢٩].

وقد أشار ابن سحنون بكونه من أوائل التربويين الذين أسسوا علم التربية الإسلامية إلى مجموعة من طرائق التدريس, ومنها: الطريقة الإلقائية, حيث أشار إلى "أن يطبقها المعلم حين يقرأ الآية من القرآن, ثم يرددها الصبي حتى يحفظها , ثم ينتقل إلى أخرى سواها, أو يكتب الصبي الآيات المطلوبة في لوح من الحجر, أو اللحاف أو العظام أو الجلود, ثم يحفظها, فان حفظها محاها في اجانة ماء يلقي به في مكان فتبتلعه الأرض"[٣٠], والطريقة الجماعية التي يفتح فيها باب المناقشة بينه وبين تلاميذه.

([٢٦]) المرجع السابق, ص١٠٩- ١١٠.

([٢٧]) المرجع السابق, ص١٠٢.

([٢٨]) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين, مرجع سابق, ص٤٤.

([٢٩]) اشتيوه, فوزي وآخرون, مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها, عمان, دار صفاء, ط١, ٢٠١١م, ص١٧٢.

([٣٠]) ابن سحنون: آداب المعلمين, مرجع سابق, ٧٨.

أما طرق التدريس عند القابسي فمتعددة, ومنها: أسلوب التلقين والحفظ, والطريقة الفردية والجمعية, ويؤكد ذلك بقوله:" وسألت هل للصبيان الصغار أو الكبار البالغين أن يقرأوا في سورة واحدة, وهم جماعة على وجه التعليم, فان كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم, فينبغي على المعلم أن ينظر فيما هو أصلح لتعليمهم فيأمرهم به, ويأخذ عليهم فيه, لأن اجتماعهم في القراءة بحضرته يخفى عنه قوى الحفظ والضعيف, ولكن إن كان على الصبيان من ذلك, خفة فيخبرهم أنه سيعرض كل واحد منهم في حزبه"[٣١], حيث يتبين من ذلك أنه يلاحظ الأطفال فرداً فرداً وهو يقوم بتعليمهم كجماعة, وذلك إدراكاً منه لوجود الاختلاف بينهم, إذ أن هناك قوي اللفظ وضعيفه[٣٢].

ويضاف إلى ذلك طريقة إشراك المتعلمين في العملية التعليمية, ويؤكد ذلك بقوله:" سئل مالك عن المعلم يجعل عريفاً: إن كان مثله في نفاذه, فقد سهل في ذلك إذا كان للصبي في ذلك منفعة, قال ابن سحنون: ولا بأس أن يجعلهم يملي بعضهم عل بعض لأن في ذلك منفعة لهم"[٣٣].

وكذلك أكد عل ضرورة طريقة التقويم المستمر: حيث قرر أن على المعلم ألا ينقل الصبي من سورة إلى أخرى حتى يحفظها بإعرابها وكتابتها[٣٤], حيث يعتبر الامتحان وسيلة من وسائل التأكد من حسن استيعاب الصبي للمواد الدراسية التي تلقاها أثناء الدراسة عل يد معلمه[٣٥].

ويستنتج الباحث من خلال ما سبق إلى أن كلاً من ابن سحنون والقابسي أكد ضرورة على التنوع في استخدام طرائق التدريس في العملي التعليمية إلى أنه يلاحظ أن القابسي عمل توسعة هذه الدائرة بتأكيده على العديد منها, وهذا يشير إلى أن الزمان يتطلب تجدد المعارف وتنوعها, وتنوع طريقة عرضها, مع الاحتفاظ باستفادة القابسي مما عند ابن سحنون من طرائق.

المطلب الرابع: مسائل تربوية متفرقة عند ابن سحنون والقابسي

أشار ابن سحنون والقابسي إلى العديد من القضايا التربوية, والتي تمس إليها الحاجة في الموقف التعليمي, مع الإشارة إلى اختلاف الحاجات والظروف التي كتبت بها هذه الآراء, تبعاً لاختلاف الزمان والمكان. وسيعرض بعض الآراء التربوية لكلا العالمين.

([٣١]) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين, مرجع سابق, ص١٧٩.

([٣٢]) النعيمي, عبدالله الأمين, المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون, ليبيا, مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية, ط٣, ١٩٩٢م, ص١٦٣.

([٣٣]) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال لمتعلمين وأحكام المتعلمين, ص٣٢١.

([٣٤]) المرجع السابق, ص٣٢٥.

([٣٥]) حلاوي, محمود, القابسي وفكره التربوي بين الأصالة والتجديد, مجلة التراث العربي, ١٩٨٨م, ص١٥٢.

ومن ذلك (أي ابن سحنون في أنه لزاماً على الأب تعليم ولده, ومن أجل ذلك فلا بد من استئجار من هو قادر على هذا العمل, إذ لا بد من معلم يعلم أولادهم, ويأخذ على ذلك أجراً وإلا كان الناس أميين[٣٦], وفي المقابل فقد أجاز ضرب الصبي إلا انه أجازه بشرطين: الأول: أن يكون الهدف المنفعة " ولا بأس أن يضربهم على منافعهم, ولا يجاوز بالأدب ثلاثاً"[٣٧], والثاني: أن لا يجاوز المعلم في الضرب ثلاثاً, إلا بعد أذن ولي الأمر" ولا يجاوز بالأدب إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحداً"[٣٨].

وأشار أيضاً إلى أنه " لا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من هدية وغير ذلك, ولا يسألهم في ذلك, فان أهدوا إليه على ذلك فهو حرام, إلا أن يهدوا إليه من غير مسألة, إلا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف. وان لم يفعلوا فلا يضربهم في ذلك, وأما إن كان يهددهم في ذلك فلا يحل له ذلك, أو يخليهم إذا أهدوا إليه فلا يحل له ذلك, لأن التخلية داعية إلى الهدية وهو مكروه"[٣٩]. وقد بين أيضاً العديد من القضايا التربوية, ولا بد من الإشارة إلى أهمية وضع الأمور في مواضعها الصحيحة, حيث ما يناسب زمان, فقد لا يناسب زمان آخر.

وأما القابسي فقد استفاد من آراء ابن سحنون كونه يليه في الفترة الزمنية التي عاش فيها, والمكان الذي عاشا فيه, والمذهب الذي ينتميان إليه (المذهب المالكي).

ومنها إجازته للضرب بمجموعة من الشروط, كالأ يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب, وأن يوقع المعلم الضرب بقدر الاستئهال الواجب في ذلك الجرم, وأن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث وغيرها من الشروط[٤٠].

كما أن يلمس من كتابات القابسي التربوية ملامح النظام المدرسي, وذلك من خلال مواعيد حضور وخروج الصبي إلى المدرسة, فيذكر أن الصبي يبدأ يومه الدراسي في الصباح, ثم يستريح فترة من الوقت يعود فيها إلى المنزل, ثم يقفل بعدها راجعاً إلى الكتاب أو المدرسة لحضور الفترة المسائية, ويستمر حتى آخر النهار, وفي نهاية الأسبوع يمنح راحة من مساء الخميس لصباح يوم السبت[٤١].

([٣٦]) شمس الدين, عبد الأمير, التربية عند ابن سحنون والقابسي, مجلة الفكر العربي, ١٩٨١م, ص٩٧.

([٣٧]) ابن سحنون: آداب المعلمين, مرجع سابق, ص٨٩.

([٣٨]) المرجع السابق, ص٨٩.

([٣٩]) المرجع السابق, ص٩٦-٩٧.

([٤٠]) انظر: الأهواني, أحمد فؤاد, التربية في الإسلام, مصر, دار المعارف, ١٩٧٨م, ص١٣٣-١٣٤.

([٤١]) القابسي: الرسالة المفصلة, مرجع سابق, ص٣١٦.

ويرى القابسي أن التعليم إلزامي للجميع دون استثناء, فقد طالب بتعليم أبناء المسلمين جميعاً, صغاراً وكباراً, فقراء وأغنياء, إناثاً وذكوراً, ويرى أن تعليم الأبناء والبنات واجب على الآباء, وان قصر الآباء في هذا الواجب فإنهم مسؤولون أمام الله[٤٢].

وأشار أيضاً إلى واجبات المعلم, ومنها: تهذيب التلاميذ و تربيتهم تربية خلقية نابعة من تعاليم الدين الإسلامي, والعناية بالطالب عناية تامة في سبيل التحصيل العلمي, والمراقبة والمتابعة التامتان لتصرفات التلاميذ[٤٣].

ويتضح من خلال ما سبق التنوع في عرض الآراء التربوية التي جاء بها ابن سحنون والقابسي, وأشار لهما إلى مسائل حساسة في العملية التعليمية, والتي تحتاج إلى دراسات معمقة تقتضي حاجات الزمان والمكان.

([٤٢]) أبو صعليك, محمد, أضواء على شخصية الإمام أبي الحسن القابسي, المجلة الثقافية, ١٩٩٤م, ص٨٣.

([٤٣]) المرجع السابق, ص٨٣.

الخاتمة

النتائج:

١. ساعدت العديد من العوامل في تشكيل شخصية ابن سحنون العلمية؛ فقد اعتنى به والده كثيراً, وخصوصاً في المجال التعليمي، كما واتصف ابن سحنون بالعديد من الصفات الحسنة, كالورع والتواضع وكان والزهد, إضافة إلى الفقه والدين, وقد عاش متقشفاً.

٢. يعد القابسي علماً بارزاً من أعلام التربية الإسلامية, ومن كبار أئمة الفقه المالكي, ومن أشهر من يعود لهم الفضل في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب العربي. وكان القابسي صاحب مدرسة انتمى إليها كثير من طلاب العلم ورواد المعرفة, وهي مدرسة الفقه والحديث, فنجده عندما استوعب هذه العلوم والمعارف الدينية.

٣. تتجلى الأهداف التربوية عند ابن سحنون والقابسي بتأكيد كل منها إلى تحقيق الوازع الديني والامتثال بشرع الله عز وجل سواء أكان بالجانب التعبدي أو الجانب الخلقي, إلا أنه يظهر تأكيد ابن سحنون على قضايا أكثر اتساعًا وإطاراً, وذلك عندما أشار إلى أهمية تعليم القرآن بكونه المرجعية الأساسية في حياة الفرد المسلم, وكذلك الحال بالنسبة للآداب والمهارات الحياتية, باعتبارها من أساسيات الحياة. في حين أن القابسي قد اقتصر في ذلك على الجانبين الديني والخلقي, وهذا تصور نحو هدفية الإسلام في تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

٤. هناك اتفاق نسبي بين مناهج ابن سحنون والقابسي, وذلك من خلال تقسيم المواد إلى إجبارية بمعنى اللزوم, واختيارية, كما يظهر من التصنيف اتفاق في موضوعات المناهج, مما يؤكد ضرورة تعلم الفرد المسلم لبعض الأمور لحاجته لها في الحياة.

٥. أن كلاً من ابن سحنون والقابسي أكد ضرورة على التنوع في استخدام طرائق التدريس في العملي التعليمية إلى أنه يلاحظ أن القابسي عمل توسعة هذه الدائرة بتأكيده على العديد منها, وهذا يشير إلى أن الزمان يتطلب تجدد المعارف وتنوعها, وتنوع طريقة عرضها, مع الاحتفاظ باستفادة القابسي مما عند ابن سحنون من طرائق.

التوصيات:

في ضوء الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة, يوصي الباحث بالآتي:

١- إجراء دراسات تربوية معمقة تبحث بتفاصيل الفكر التربوي عند العلماء القدماء, والاستفادة منه في وقتنا الحاضر.

٢- إجراء وعمل مؤتمرات علمية تناقش جهود العلماء القدماء كابن سحنون والقابسي في تأسيس علم التربية الإسلامية.

٣- المربين والمعلمين, في تفعيل خبرتهم العملية في عمل دراسات بحثية للمواقف الصفية.

المصادر والمراجع

- اشتيوه, فوزي وآخرون, مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها, عمان, دار صفاء, ط١, ٢٠١١م.
- الأهواني, أحمد فؤاد, التربية في الإسلام, مصر, دار المعارف, ١٩٧٨م.
- أبو بكر, عبد الله بن أبي عبد الله المالكي, رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية, القاهرة, مكتبة النهضة المصرية, ١٩٥١م.
- التوزري, إبراهيم, تاريخ التربية بتونس, تونس, الشركة التونسية للتوزيع, د.ت.
- جنزرلي, رياض, أهداف التربية الإسلامية وغايتها, جدة, الدار السعودية للنشر والتوزيع,٢٠٠٠م.
- حجازي, عبد الرحمن, المذهب التربوي عند ابن سحنون, بيروت, مؤسسة الرسالة, ط١, ١٩٨٦م.
- حلاوي, محمود, القابسي وفكره التربوي بين الأصالة والتجديد, مجلة التراث العربي, ١٩٨٨م.
- ابن خلكان, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق: إحسان عباس, بيروت, دار صادر, ١٩٧٠م.
- ابن الدباغ, عبد الرحمن, معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان, القاهرة, مكتبة الخانجي, ١٩٦٨م.
- الذهبي, شمس الدين, العبر في خبر من عبر, تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد, الكويت, ١٩٦٠م.
- ابن سحنون, محمد, كتاب آداب المعلمين, تحقيق: حسن عبد الوهاب, تونس, دار الكتب الشرقية, ١٩٧٢م.
- سلطان, محمود, الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام, القاهرة, دار المعارف, ١٩٨٣م.
- شمس الدين, عبد الأمير, التربية عند ابن سحنون والقابسي, مجلة الفكر العربي, ١٩٨١م.
- شمس الدين, عبد الأمير, الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي, بيروت, دار اقرأ, ط١, ١٩٨٥م.
- أبو صعليك, محمد, أضواء على شخصية الإمام أبي الحسن القابسي, المجلة الثقافية, ١٩٩٤م.
- عبدالله, عبد الرحمن, المنهاج الدراسي – رؤية إسلامية, عمان, دار البشير, ط٢, ٢٠٠٠م.
- ابن عياض, عياض بن موسى, تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض, تونس, المطبعة الرسمية, ١٩٦٨.
- القابسي, علي بن محمد, الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين, تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني, القاهرة, ١٩٧٥م.
- الكيلاني , ماجد, أهداف التربية الإسلامية, الإمارات, دار القلم, ٢٠٠٥م.
- اللقاني, أحمد, المناهج بين النظرية والتطبيق, القاهرة, عالم الكتب, ط٢, ١٩٨٢م.
- مراد, بركات, الفكر التربوي عند ابن سحنون, المجلة العربية للتربية, العدد ٣, ٢٠٠٤م.
- النعيمي, عبدالله الأمين, المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون, ليبيا, مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية, ط٣, ١٩٩٢م.
- أبو هلال, أحمد, قراءة الأفكار التربوية عند ابن سحنون, جلة أفكار, ١٩٧٩م.
- وصوص, ديمة والجوارنة, المعتصم بالله, من ملامح الفكر التربوي عند الإمام القابسي, الجامعة الأردنية, مجلة دراسات (العلوم التربوية), العدد٢, المجلد ٤١, ٢٠١٤م.